المكتبة الذهبية للأطفال

ذات الشعر الأحمر

تأليف : د . حسام العقاد

رسوم : عبد الناصر شعبان

المركز العربي الحديث

١٠٣ ش الامام على ـ ميدان الاسماعيلية ـ مصر الجديدة القاهرة . ت : ٢٧٠٦٠٤٨

بسم الله الرحمن الرحيم

تونس : سوبيس 2 نهج علي الرياحي مونفلوري1008- تونس - هاتف :350553

* ذات الشعر الأحمر *

خَرَجَ الأَمِيرُ الشَّابُّ ضِيَاء إلى أَسْوَاقِ الْمَدِينَةِ، وَسَارَ مُمْتطِيًا جَوَادَهُ الأَسْوَد، وَحَوْلَهُ الْحُرَّاسُ الأَشِدَّاءُ، كَان الأَمِيرُ ضِياء يُرِيدُ أَنْ يَعْرِفَ أَخْبَارَ النَّاس، وَيَطْمَئِنَّ علَى أَحْوَالِهِم، وَيَسْمَعَ شَكْوَاهُم، وَيَحلَّ لَهَمْ مَشَاكِلَهم.. سَارَ الأَمِيرُ ضِياء في مَوْكبه الصَّغير، والنَّاسُ تَرْنُوا إلَيْه في حُبٍّ واحْتِرَامٍ وتَقْدِير، كان رَشِيقًا جَذّابًا، صَغِير السِّنِّ، يُحِبُّ كُلَّ النَّاسِ، ويَعْطِفُ عَلَيْهم، ويُكَرِّسُ وَقْتَه لَهُمْ. وكَان الأَمِيرُ ضِياء يَقِفُ بَيْنَ الْحِينِ والآخَر، لِيُكَلِّمَ النَّاسَ، ويَعْرِفَ أَخْبَارَهم، وَيُذلِّل الصِّعَاب لَهُم، ويَتَلَقَّى طَلَبَاتِهم الكَثِيرة، ويَعِدُهُم أَنْ يُحقِّقَها لَهُمْ.. وَبَيْنَما هُوَ سَائِرٌ وَسَطَ الْحُرَّاسَ، أَبْصَرَ دُكَّانًا صَغِيرًا، تَجْلِسُ أَمَامَهُ فَتاةٌ رَقِيقَةٌ، ذاتَ شَعْرٍ أَحْمَر، طَوِيل، تُرتِّب الأَوَاني والتَّمَاثيلَ الْخَزَفِيَّة، فَتَرَجَّلَ عَنْ جَوَادِهِ، وَتَقَدَّمَ إلى الدُّكَّان، وقَال لَهَا:

- مَاذا تَفْعَلِينَ هُنَا أَيَّتُها الفَتَاة؟

قَالَتِ الفَتاةُ وهي مُنْهَمِكَةٌ في عَمَلِهَا:

- أُرَتِّب الأَوَاني.. وَأُنَظِّفُ التَّمَاثِيلَ.. لأَبيعَها للنَّاس..

عَادَ الأَمِيرُ ضِياء يَسْأَلَها:

- هَلْ هَذا الدُّكَّان مِلْكٌ لَكِ؟

- إِنَّه مِلْكُ أَبي.. وَلَكنَّه مَريضٌ.. لا يُغَادِرُ فِرَاشَهُ.. وَلِذلِكَ أَنَا أَعْمَلُ بَدَلاً مِنْهُ.. لأُحْضِرَ لَهُ الطَّعَامَ وَالدَّوَاءَ..

رَمَقَها الأَمِيرُ ضِياء في إِعْجَابٍ، وقَال:

- مَا اسْمك؟

- رَضْوَى.

جَلَسَ الأَمِيرُ ضِياء بجوارِها، وقَالَ لَهَا:

- لَنْ تَضْطَرِّي لِلْعَمَل بَعْد اليَوم.. سَنَصْرِفُ لَكِ رَاتِبًا شَهْرِيًّا وَ..

قَاطَعَتْهُ رَضْوَى قَائِلَةً فِي قَنَاعَةٍ:

- شُكْرًا لَكَ أَيُّها الأَمير.. الْحَمْدُ لِلَّهِ إِنِّي قَادِرة علَى العَمَل.. وَأَكْسبُ مِنْهُ مَا يَكْفِينا.. وَلَسْنا في حَاجَةٍ لِهَذا الرَّاتَبِ.. وهُنَاكَ مَنْ هُوَ أَحَقُّ به مِنِّي..

ازْدَادَ إِعْجَابُ الأَمير ضِياء بالفَتاةِ الفَقِيرَةِ الْمُكَافِحَةِ، وَسَأَلَها:

- أَلا تَتَمَنِّينَ شَيْئًا؟

شَرَدَتْ رَضْوَى ببَصَرِها قَائِلَةً:

- عِنْدِي أُمْنِيةٌ صَغِيرة..

- مَا هِيَ؟

تَوَقَّعَ الأَمِيرُ أَنْ تُخْبِرَهُ رَضْوَى أَنَّها تُرِيدُ امْتِلاكِ عَقْدًا مِنَ اللُّؤْلُؤِ.. أَوْ جَوْهَرة ثمِينة.. أَوْ مَنْزِلٍ كَبِيرٍ أَنِيقٍ، وَلِكِنَّهُ بُوغِتَ بِهَا تَقُولُ:

- أَنْ أَشْتَرِي ثوْبًا جَدِيدًا..

نَظَرَ إِلَيْها فِي دَهْشَةٍ، وَلَمْ يَتَنَفَّسْ بِحرْفٍ، فَأَكْمَلتْ رَضْوَى قَائِلَةً:

- إِنِّي أَدَّخِرُ كُلَّ شَهْرٍ عَدَدًا مِنَ الدَّرَاهِمِ.. وفي نِهَايةِ هَذا الشَّهْرِ إِنْ شَاءَ اللَّه.. سَيَجْتَمِعُ عِنْدِي ثمَنُ الثوْب..

قال الأَمِيرُ ضِياء:

- ادَّخِرِي نُقُودَكِ لِشَيْءٍ أَفْضَل.. سَأَشْتَرِي لَكِ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْمَلابسِ..

قَاطَعَتْهُ رَضْوَى قَائِلَةً فِي إِصْرَارٍ:

- لَنْ أَفْرَحَ بها.. أَيُّها الأَمِير.. إِنَّ أَجْمَلَ شَيْءٍ أَنْ يَأْكُلَ الإِنْسَانُ وَيَلْبَسَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ.. أَنْ يَحْلمَ وَيَعْمَلَ لِيُحَقِّق أُمْنِيتَّه..

قالَ الأَمِيرُ وَهُوَ يَرْنُو إِلَيْها فِي إِعْجَابٍ:

- تَمَنِّي أي شَيْءٍ.. اطْلُبِي أَيَّ شَيْءٍ.. لأُحَقِّقَهُ لَكِ علَى الفَوْرِ.. كَمَا أَفْعَلُ مَعَ النَّاسِ جَمِيعًا..

قَالَتْ رَضْوَى:

- أُمْنِيَتِي أَنْ تَعْدلَ بَيْنَ النَّاسِ.. وَتَرْفَعَ الظُّلْمَ عَنْهُمْ.. أُمْنِيَتِي أَنْ يَعْمَلَ النَّاسَ بجدٍّ وَحَمَاسٍ.. وَيَعِيشُوا في هَنَاءٍ وسَعَادَةٍ..

ثمَّ اسْتَأْذنتْ مِنْهُ قَائِلَةً:

- سَأُوَاصِلُ عَمَلِي أَيُّها الأَمير..

وَتَرَكَها الأَمِيرُ ضِياء، وعَادَ إلى قَصْرِهِ الكَبِيرِ وهُوَ يُفكِّرُ في الفَتَاةِ الفَقِيرَةِ الْمُكَافِحَةِ.

* * *

أَحْصَتْ رَضْوَى نُقُودَها في سَعَادَةٍ ورِضًا، وَأَسْرَعَتْ لِتَشْتَرِي الدَّوَاءَ لِوَالِدِها الْمَرِيضِ، وَالطَّعَامَ الَّذي سَتَطْهُوهُ بَعْدَ أَنْ تَعُودَ إلى مَنْزِلِها، وَنَظَرَتْ إلى النُّقُودِ الْمُتَبقِيَّةِ في سَعَادَةٍ.. لَقَدْ اكْتَمَلَ الآن ثمَنُ الثَّوْب الذي تُريدُهُ وتَتَمَنَّاهُ.. وَأَسْرَعَتْ رَضْوَى لِتَشْتَرِي الثَّوْبَ، وفي طَرِيقِها أَبْصَرَتْ طِفْلَةً صَغِيرَةً تَجْلِسُ علَى الأَرْضَ، مُسْتَنِدَةً علَى الْحَائِطِ، وهِيَ تَبْكِي في حُزْنٍ شَدِيدٍ، اقْتَرَبَتْ مِنْهَا رَضْوَى، ورَبَتَتْ علَى كَتِفِها في حَنانٍ وهِيَ تَسْأَلَهَا:

- مَا بكِ أَيَّتُها الصَّغِيرَة؟.. عَلامَ تَبْكِينَ؟

قَالَتِ الطِّفْلةُ وهِيَ تَبْكِي:

- دُمْيَتِي.. دُمْيَتِي.. ضَاعَتْ مِنِّي.. إنّها لُعْبَتِي الوَحِيدة.. ضَمَّتها رَضْوَى إلى صَدْرِها في حَنانٍ قَائِلَةً:

- اذهَبي إلى وَالِدِكِ.. وَاطْلُبي مِنْهُ دُمْيَةً أُخْرَى..ازْدَادَ بُكَاءُ الطِّفْلَةِ وهِيَ تَقُولُ:

- مَاتَ أَبي وأنا صَغِيرة.. وَأُمِّي لَيْسَ مَعَها نُقُودٌ لِتَشْتَرِي لِي وَاحِدَةً جَدِيدةً.. فَنَحْنُ فُقَرَاء.. وَرَاحَتْ تَبْكِي وتَنْتَحِب، فَرَبَتَتْ رَضْوَى علَى ظَهْرِها قَائِلَةً:

- تَعَالِي مَعِي..

وَقَادَتْها إلى مَحِلٍّ صَغِيرٍ، واشْتَرَتْ لَها دُمْيَةً جَمِيلَةً، وقَبَّلَتْها قَائِلَةً:

- احْرِصِي عَلَيْها حَتَّى لا تَضِيع..

أَطَلَّتِ الفَرْحَةُ مِنْ عَيْنَي الطِّفْلَة، وصَاحَتْ في سَعَادَةٍ:

- شُكْرًا لَكِ.. أَنْتِ فَتَاةٌ رَائِعة..

وَانْطَلَقَتْ رَضْوَى إلى نُقُودِها..

لَقَدْ نَقَصَتِ النُّقُودُ.. لَنْ تَسْتَطِيعَ أَنْ تَشْتَرِي الثَّوْبَ اليَوْم.. وَسَتَضْطَر إلى تَأْجِيلِ الشِّرَاءِ شَهْرًا آخَرَ حَتَّى يَكْتَمِلَ الثَّمَنُ.. وَلَمْ تَحْزَنْ رَضْوَى.. ولَمْ تَنْدَمْ علَى تَصَرُّفِها..بَلْ شَعُرَتْ بسِعَادَةٍ لأَنَّها سَاهَمَتْ في سَعَادَةِ طِفْلَةٍ صَغِيرَةٍ يَتِيمَةٍ.. وَسَارَتْ عَائِدَةً إلى مَنْزِلِهَا..

ولَمْ تَشْعُرَ أَنَّ ثِمَّةَ عَيْنَيْنِ تُرَاقِبَانِها.. عَيْنَا الأَمِير ضِياء.

كَانَ الأَمِيرُ ضِياء جَالِسًا فِي حَدِيقَةِ القَصْرِ، شَارِدَ الذِّهْنِ، فَلَمْ يَشْعُرْ باقْتِرَاب وَالِدِهِ وَوَالِدَتِهِ، وَلَكِنَّهُ سَمِعَ الأُمَّ تَقُول:

- فِيمَ تُفَكِّرُ يا ضِياء؟

وَقَفَ الأَمِيرُ ضِياء احْتِرَامًا، وَقَبَّلَ أَيْدِيَهُمَا ثمَّ قَالَ:

- إِنِّي أُفَكِّرُ فِي شَيْءٍ يُشْغِلُنِي..

سَأَلَتْهُ الأُمُّ قَائِلَةً:

- مَا هُوَ؟..

تَرَدَّدَ الأَمِيرُ ضِياء قَبْلَ أَنْ يقُولَ:

- إِنِّي أُفَكِّر فِي الزَّواج..

هَتَفَ الْمَلِكُ فِي سَعَادَةٍ:

- أَخِيرًا يا ضِياء..

بَيْنَمَا قَالَتِ الْمَلِكَةُ باسِمَةً:

- إِنَّهُ اليَوْم الَّذِي نَنْتَظِرُهُ جَمِيعًا..

كَمْ أَنا سَعِيدَةٌ الآن..

قَالَ الْمَلِكُ وهُوَ يَبْتَسِمُ:

- كَمْ سَتَفْرَحُ الأَمِيرةُ قَطْرُ النَّدَى.. عِنْدَما أُخْبِرُها..

قَالَ الأَميرُ ضِياءُ مُتَرَدِّدًا:

- أَبي.. لَنْ أَتَزوَّج مِنْ قَطْرِ النَّدَى..

- مَاذا؟

قَالَها الْمَلِكُ غَاضِبًا، بَيْنَما هَتَفَتِ الْمَلِكَةُ مُسْتَنْكِرَةً:

- إِنَّها ابْنَةُ عَمِّكَ.. وَقَدْ رَبَّاهَا الْمَلِكُ بَعْدَ وَفَاةِ وَالِـدَيْها.. وَقَـدْ أَعْدَدْناها لِتُصْبحَ الْمَلِكَةُ القَادِمَةُ..

قَالَ الأَمِيرُ ضِياء في حَمَاسٍ:

- ولَكِنِّي رَأَيْتُ فَتاةً مُدْهِشةً.. إِنَّها فَقِيرة.. ولكنَّها ذاتَ أَخْلاقٍ عَالِيَةٍ.. إِنّها الفَتاة التي أَتَمَنَّى الزَّوَاجَ مِنْها.. وَرَاحَ يَحْكِي لَهُمَا عَـنْ رَضْوَى، حَتَّى قالَ الْمَلِكُ:

- إِنَّها حَقًّا فَتاةٌ مُمْتَازَةٍ..

قالتِ الْمَلِكَةُ في قَلَقٍ:

- وَلَكِنْ لا بُدَّ أَنْ نَتَرَيَّث حَتَّى نَعْرِفَ كُلَّ شَيْءٍ عَـنْ رَضْـوَى.. وَحَتَّى لا نَجْرَحَ مَشاعِرَ الأَمِيرةِ قَطْرِ النَّدَى..

وَافَقَها الْمَلِكُ قَائِلاً:

- لِيَظَلَّ الأَمْرُ سِـرًّا بَيْننـا.. وَسَأُرْسِـلُ الْحُـرَّاس لِلْـسُّؤَالِ عَـنْ رَضْوَى..

وَلِكِنَّهُ لَمْ يُدْرِكْ أَنْ الأَمْرَ لَمْ يَعُدْ سِرًّا..

فَخَلْفَ إِحْدَى الأَشْجَارِ الضَّخْمَةِ، كَانَتْ تَقِفُ الأَمِيرةُ قَطْرُ النَّدَى.. وَقَدِ اكْتَسَى وَجْهُهَا بالغَضَبِ، وَأَطَلَّ مِنْ عَيْنَيْهَا شَرٌّ مُسْتَطِيرٌ.

نَظَرَتِ الأَمِيرةُ قَطْرُ النَّدَى إلى خَادِمِها القَصِيرِ، وقالَتْ مُتَلَهِفَةً:

- هَلْ أَعْدَدت كُلَّ شَيْءٍ؟

أَجَابَ الْخَادِمُ وَعَيْنَاهُ تَلْتَمِعَانِ فِي مَكْرٍ:

- أَجَلْ أَيَّتُها الأَمِيرة.. الفَتاة الفَقِيرَة تَأْخُذ بِضَاعَتْهَا مِنْ تَاجِرٍ كَبِيرٍ.. وَتَدْفَع ثمَنَها لَهُ بَعْدَ أَنْ تَبيعها..

- وَمَاذا سَيَحْدُثُ لَوْ فَقَدَتِ الفَتاةُ بضَاعَتها؟

ابْتَسَمَ الْخَادِمُ ابْتِسَامَةً شِرِّيرةً قَائِلاً:

- سَيثوُر التَّاجرُ.. وَسَيُقَدِّمُ بَلاغًا إلى القَاضِي.. وَتَدْخُل الفَتَاةُ السِّجْن..

ضَحِكَتِ الأَمِيرَةُ قَطْرُ النَّدَى قَائِلَةً:

- تَمَامًا.. هَذا هُوَ مَا أُرِيدُهُ.. وَلِنَرَى كَيْفَ يَتَزوَّجَ الأَمِيرُ ضِياء مِنْ فَتاةٍ سَجينةٍ.. هَيَّا.. هَيَّا.. نَفِّذْ..

وَغَادَرَ الْخَادِمُ القَصْرَ، وَأَشَارَ إِلى رَجُلٍ ضَخْمٍ كَانَ يَنْتَظِرُهُ.

وَقَذَفَ لَهُ بِصُرَّةِ نُقُودٍ ضَخْمَةٍ، تَلَقَّاهَا الرَّجُلُ الضَّخْم بِيَدِهِ، وَانْطَلَقَ يَعْدُو بِجَوادِهِ إِلَى السُّوق..

لِيُنَفِّذَ مُهِمَّتَهُ الشِّرِيرَةِ.

* * *

وَقَفَتْ رَضْوَى دَاخِلَ الدُّكَّانِ تُنَظِّفُ تِمْثالاً كَبِيرًا مِنَ الْخَزَفِ، وَتَرْنُو إِلَيْهِ فِي انْبِهَارٍ، كَانَ جَمِيلاً، دَقِيقَ الصُّنْعِ، أَلْوَانُهُ جَذّابَةٌ، تَأَمَّلَتْهُ رَضْوَى حَتَّى سَمِعَتْ صَوْتًا ضَعِيفًا يَقُولُ:

- يَا لَهُ مِنْ تِمْثَالٍ ثمِينٍ يا ابْنَتِي..

الْتَفَتَتْ رَضْوَى لِتُبْصِرَ رَجُلاً مَحْنِيَّ الظَّهْرِ، يَرْتَدِي ثِيابًا قَدِيمَةً بَالِيَةً، كَان يَبْدُو عَجُوزًا، يَسْتَنِدُ علَى عَصًا خَشَبِيَّةً، قالَتْ لَهُ فِي بَشَاشَةٍ:

- مَرْحبًا بكَ.. أَتُرِيدُ شِرَاءَهُ..

قَالَ الرَّجُلُ وابْتِسَامَةً طَيِّبة تَعْمُرُ وَجْهَهُ النَّحِيل:

- يَا ابْنَتِي.. لَيْسَ مَعِي نُقُودٌ تَكْفِي طَعَامِي.. أَنا رَجُلٌ فَقِيرٌ.. لَمْ أَذُقْ لُقْمَةً وَاحِدَةً مُنْذ يَوْمَيْنِ..

قَالتْ رَضْوَى فِي صدْق:

- لَوْ كَانَ مَعِي ثَمَنُه لَقَدَّمْتُه هَدِيَّة لَكَ أَيُّها الرَّجُل الطَّيِّبُ ..

نَظَرَ إِلَيْهَا مُمْتَنًّا، وقَال:

- بَارَكَ اللهُ فِيكِ يا ابْنَتِي ..

تَذَكَّرتْ رَضْوَى أَنَّه جَائِعٌ، وكانَتْ تَحْتَفِظ بطَعامِ الغَداءِ، فَقَدَّمَتْه لَه قَائِلَةً:

- خُذ يا سيِّدي .. كُلْ بالْهَنَاء والشِّفاءِ ..

أخَذَ الرَّجُلُ الطَعَامَ شَاكِرًا، وقَالَ:

- لَنْ يَخْذُلِكِ اللهُ أَبَدًا يا ابْنَتِي ..

ودَعَا لَهَا، ثُمَّ ابْتَعَدَ بالطَّعَامِ، وانْهمَكَتْ رَضْوَى في عَمَلِها، فَلَمْ تَشْعُرُ بالرَّجُل الضَّخْم، وَهوَ يَنْطَلِق بجَوَاده نَحْوَ الْمَحَلِّ .. ثُمَّ سَمِعَتْ وَقْعَ أقْدَام الْجَوَاد .. وأبْصَرَتْه يَقْتَربُ مِنْهَا .. فصَرَخَتْ فِي دُعْر:

- أيُّها الرَّجُل .. احْتَرِس ..

ولَكنَّ الرَّجُلَ الضخْمَ انْدَفَعَ بجَوَاد إلى دَاخِل الْمَحلِ .. لِيُحَطِّمَ التَّمَاثِيل والأوَانِي الْخَزَفِيَّة كُلَّها .. ثمَ انْطَلَقَ هَارِبًا ..

وراحَتْ رَضْوَى تَنْظُرُ إلى بضَاعَتِها الْمُحَطَّمة في كَثيرٍ مِن الْحُزْن والأَسَى، ثم نَشَجَتْ بَاكِيَة.

* * *

جَلَسَتْ رَضْوَى وَسَط بضَاعَتِها الْمُحَطَّمة، تَتسَاءلُ في حَيْرَة:

- مَاذَا أَفْعَل؟ .. كَيْفَ سَأُسَدِّدُ ثمَن هَذِهِ البضَائع للتَّاجِر؟ .. مِنْ أَيْنَ سَأَحْصُلُ عَلَى النُّقُود؟

وبَيْنَما هِي غَارِقَةٌ فِي حِيْرَتِها وحُزْنِها، هُيِّئَ لَها أَنَّها تَسْمَعُ صَوْتَ الرَّجُلِ العَجُوزُ يَقُول لَهَا:

- لَنْ يَخْذلَك اللهُ أَبَدًا يا ابْنَتِي ..

واصْطَدَمَتْ يَدُها بشَيْءٍ صَغِير، واتَّسعَتْ عَيْنَاهَا وَهِي تَنْظُرُ إلَيْه في دَهْشَةٍ وتَعَجُّب، كَانَ شَيْئًا مُسْتَدِيرًا مِن البَلُّلور .. له بَرِيقٌ يَأخُذَ الأبْصَارَ .. هتَفتْ:

- لا شَكَّ أَنَّه كَانَ في أَحَدِ التَّمَاثِيل ..

والتَقَطتْ البَلُّلورةَ الْمُسْتَدِيرة .. ونَظَرَتْ إلَيْهَا .. كَانَ ثَمَّة شَيءٌ غَامِض يَجْذِبُها لكَي تَنْظر إلى دَاخِل البَلُّلورة .. وركَّزَتْ نَظَرَاتِها أكْثَرَ .. ورَاحَتْ دَهْشَتُهَا تَزْدَادُ .. وتَتَضاعَفُ.

كَانَ دَاخلُ البَلُّلورة صُورَة صَغِيرة .. لِتِمْثَالَ مِن البَلُّلور .. تِمْثَالٌ دَقِيقٌ لَفَتَاةٍ صَغِيرة .. وتَساءَلَتْ رَضْوَى مُنْدَهِشَةً:

- مَا هَذا التِّمْثَال؟

وحَوَّلتْ بَصَرها عَنْ البَلُّلورة، لتُبْصِر شَيْئًا عَجيبًا ..

كَانَ التِّمْثَالُ الذي رَأتْه فِي البَلُّلورة بجوارِها ..

تِمْثَالٌ رَائِع .. مِن مَادة ثَمِينَة .. تَتَلأْلأُ بضَوْءٍ بَرَّاق .. والْتقطَتْ التِّمْثَالَ، وتأمَّلَتْه فِي انْبهَار، عِنْدما دَوَى صَوْت هَادِر يَصيح:

- هَا هِي الفتاة .. اقْبضُوا عَلَيْها ..

كَان صَوْتُ التَّاجِر، وَكَانَ القَاضِي بجُوارِه، والْجُنُودُ حَوْلَهما،

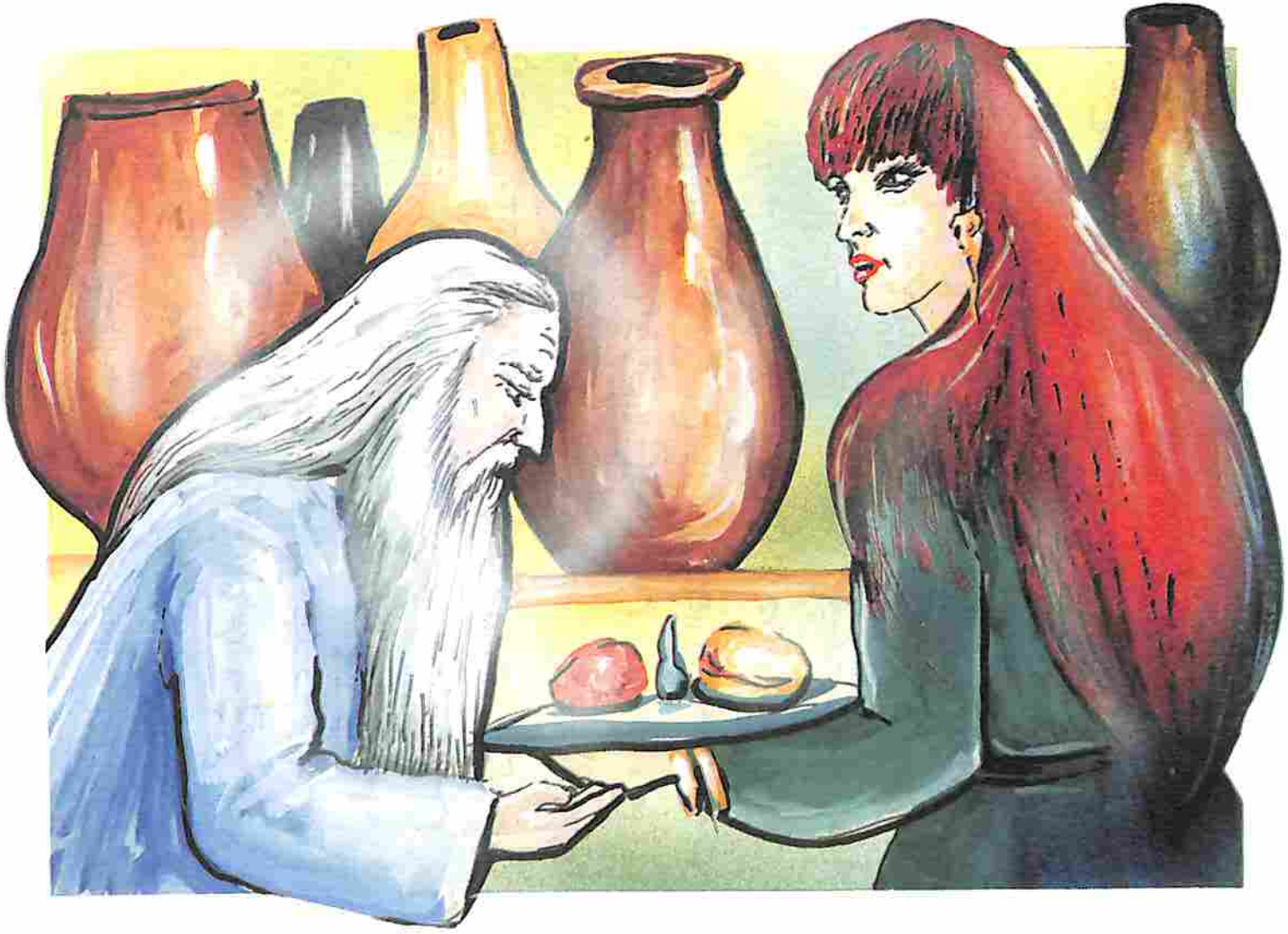

ورَاحَ التَّاجِرُ يَقولُ غَاضِبًا:

- لَقدْ أخَذَتِ البضَاعة .. وحَطَّمَتْها .. اسْجنُوها ..

اقْتَربَ القَاضِي مِنْ رَضْوَى، قَال لها فِي رِفْق:

- أصَحِيحٌ ما يدَّعيه التَّاجرُ يا ابْنَتِي؟

أحْنَتْ رَضْوَى رَأسَها فِي أَسَف قَائِلَةً:

- أجَلْ .. ولكن مَوْعد السَّدَاد لم يَحِنْ بَعْد ..

صَاحَ التَّاجِر:

- وكَيْفَ سَتَحْصُلِين على النُّقودِ بَعْدَ أنْ تَحطَّمتْ الأوَانِي والتَّمَاثيل؟

أطْرَفَتْ رَضْوَى في حُزن، ورَاحَ التَّاجِرُ يَقُولُ:

- حَاكِمْها أيُّها القَاضِي .. خُذْ لِي حَقِّي مِنها .. اسْجِنْهَا ..

وفَجْأة دَوَى صَوْتٌ يَقُول:

- أخيرًا .. وَجَدْتُّه ..

كَانَ صَوتُ أَحَدِ الْمَارَّة الَّذِينَ تَجَمَّعُوا لِرُؤيةِ ما يَحْدُثُ، كَانَ يَرْتَدي ثِيابًا أنيقَةً غَالِيَةَ الثَّمَن، تَقَدّم مِنْ رَضْوَى، وَهُو يَنْظُر إلى التِّمْثَالَ الدَّقِيق في انْبهار، هَتَف:

- هَذا التِّمْثَال البَلُّلوري الثَّمِين .. إنِّي بَحَثْتُ عَنْه فِي أنْحَاء العَالَم .. وكِدْت أيأسُ من العُثُور عَليه .. بكَمْ تَبيعينه؟

احْتَقَنَ وَجْهُ التَّاجِر غَيْظًا، وقَال وَهُو يُشير إلى الرَّجُل:

- ابْتَعد .. ابْتَعد .. إنَّنا قَبضنا عَلَيْها .. لن يُمْكِنُها بَيْع أي شيءٍ الآنْ.

قَالَ القَاضي آمِرًا:

- انْتَظِر أيُّها التَّاجِر .. وَدَعْهَا تَبيعُ التِّمْثَال ..

قَدَّمَتْ رَضْوَى التِّمْثَالَ إلَى الرَّجُل قَائِلَةً:

- بكَمْ تُريدُه يا سَيِّدي؟

أخْرَجَ الرَّجُلُ صُرَّةَ نُقُودٍ كَبيْرَة:

- خُذي .. هَا هِي .. مَائَة دِينَار كَاملة ..

وَنَدَّتْ آهَة دَهْشَة مِن بَيْن شَفَتَيّ رَضْوَى .. مَائَة دِينارٍ ثمنًا لِهَذا التِّمْثَال الصَّغِير!!

وأَطْلَقَ التَّاجِرُ صَيْحَةَ غَضَبٍ، بَيْنَما رَضْوَى تُخْرِجُ خَمْسِين دِينارًا وتُقدِّمها له قَائِلَةً:

- هَا هِي نُقُودِك.

ابْتَسَمَ القَاضِي، وأشَارَ إلى جُنُودِه أنْ يَنْصَرِفُوا، ووقَفتْ رَضْوَى غَير مُصَدِّقَة أنَّهَا أصْبَحتْ تَمْتلِكُ خَمْسينَ دِينارًا كَاملة ..

وحَمَدَت اللهَ وشَكَرته على إنقَاذِه لَهَا ..

وعَلَى بُعْد خُطَوات منها، كَانتْ الأمِيرةُ قَطْرُ النَّدَى تُرَاقِبُ مَا يَحْدُثُ وهي تَتَميَّزْ غَضبًا وغَيْظًا، وتقُولُ في شَر:

- لَنْ تَفْلت هَذِه الفَتَاة مِنِّي أبدًا.

سَارَتْ رَضْوَى وَهِي سَعِيدة رَاضِية .. كَانـتْ تُفكّـرُ في النُّقُـودِ التي مَعَها .. الآنْ تَستَطِيعُ أَنْ تَشْتَرِيَ ثَوْبًا جَمِيلا رَائِعًا .. وَتُحْـضِرُ بَضَائِعَ جَدِيدَةً للمَحلِّ .. وطَعَامًا طَيِّبًا لِوَالِدها الْمَرِيض ..

ودَخَلَتْ مَحل الْمَلابس، واخْتَارَت ثَوْبًا أَبْيَضَ، غَالِيَ الثَّمَن، وعَادَتْ إلى مَنْزِلها، ودَخَلَتْه وَهِي لا تَشْعُرُ بأنَّ ثَمَّةَ مَنْ يُراقِبُها .. ويَتَجَسَّسُ على حَرَكاتِها ..

إنَّه خَادمُ الأَمِيْرة قَطْر النَّدَى .. الـذي أسْـرَع إلى القَـصْر ليُبْلِـغَ الأَمِيرَة بمَا رَآه .. أَمَّا رَضْوَى فَقَدْ أَعَـدَّت الطَّعَـام ورَاحَـتْ تَقُـصُّ عَلَى وَالِدها مَـا حَـدَث، ثُـمَّ انْهَمَكَـتْ فِـي أَعْمَـالِ الْمَنْـزل حَتَّـى سَمِعَتْ دَقَّات شَدِيدَة علَى البَـاب، فانـدَفَعتْ إلَيْـه قَلقَـةً مَـذْعُورةً لِتُبْصِرَ القَاضِي والْجُنُود .. وخَادِم الأَمِيْرة قَطْر النَّدَى الـذِي أَشَـارَ إلى رَضْوَى قَائلاً:

- هَا هِي الفَتاة .. اقْبضْ عَلَيْها يا سَيِّدِي .. إنَّها لِصَّة!

* * *

أَحْضَرَ الْجُنُودُ الثَّوْبَ الأَبْيَض مِنْ غُرْفَة رَضْوَى، فَقَال الْخَادِم:

- هَا هُو الثَّوْبُ الذِي سَرَقَتْه هَذِه الفَتَاة ..

صَاحَتْ رَضْوَى في انْفِعَال:

- أنا لَمْ أسْرِقْه .. لقدْ اشْتَرَيْتُه اليَوْم ..

قَالَ الْخَادِمُ في إصْرَار وَهُو يَنْظر إلى القَاضِي:

- بَلْ سَرَقتْه يا سَيِّدي القَاضِي.. فهو ثوْبُ الأمِيْرة قَطْر النَّدَى..

هَتَفتْ رَضْوَى في صِدْق:

- اسْأَل البَائعة. وستَعْرِفُ مِنْها الْحَقيقَة ..

أشَارَ القَاضِي إلى أحد الْجُنُودِ قَائِلاً:

- احْضِروا البَائعة ..

وبَعْدَ لَحَظات، أقْبَلَ الْجُنْدِيُّ، وخَلْفَه البَائِعة، التي أشَارتْ إلى رَضْوَى قَائِلَةً:

- تَمامًا.. هَذه هي اللِّصَّةُ التي سَرقتْ ثوبُ الأمِيْرة قَطْر النَّدَى..

صَرَخَتْ رَضْوَى

- أنا بَرِيئة .. بَرِيئة .. أرْجُوكِ .. تَكلَّمِي .. اذْكُرِي الْحَقِيقة ..

قَال القَاضي للبَائِعة:

- أأنتِ وَاثقة؟

- أجَل، لَقد أعْدَدتُ الثَّوبَ للأمِيْرة .. وَوَضَعْتُه أمَامِي .. فجَاءتْ هَذِه الفَتَاة .. وسَرَقَته .. إنِّي وَاثِقَة تَمامًا ..

وَرَغم دُمُوع رَضْوَى .. وتَوسُّلات وَالِدها الْمَرِيض .. أصْدَر القَاضِي قَرَارَه.. وأَمَرَ بسِجْن رَضْوَى.

* * *

أقْبلَ رَئيسُ الْحُرَّاس، وحَيَّا الْمَلِك في احْتِرَام، فسأله:

- ألَمْ تَعْثُروا عَلَى التَّاج بَعْد؟

- إنَّنا نَبْذُل قَصارَى جُهدَنا يا مَوْلاي ..

- لا بُدَّ أنْ تَجدوه قَبْل أنْ يَعُودَ الْمَلِكُ الْمُنْتَصِر إلينا ..

- أمْرُك يا مَوْلاي ..

وَشَرَدَ الْمَلِكُ ببَصره، وتَذكَّرَ ما حَدَثْ، لقدْ جَاءَ الْمَلِكُ الْمُنْتَصِر لزِيَارتِه، وأوْدَعَ عنْدَه تَاجًا ثِمينًا، كَانَ تُحْفَةً فَنيَّةً نَادِرة، لا يُقدَّر بثَمْن، وأوْصَاه أَنْ يَحتَفظَ به في حَتَّى يَعُودَ مِن إحْدَى غَزَوَاتِه، فأوْدَعَ التَّاجَ فِي خزَانَة القَصْر، ولكِنَّه سُرق ..

وانْتَبه الْمَلكُ على صَوْت زَوْجَته تقُول:

- أَلَمْ تَعْثرُوا على التَّاج بَعْد؟

هَزَّ الْمَلِكُ رَأسَه نَفْيًا، وقَالَ في ضِيْق:

- لَوْ عَادَ الْمَلكُ الْمُنْتَصِر، سَيَظُنُّ أَنَّني طَمِعْتُ في التَّاج، وسَيَعُلْن الْحَرب عَلَى مَدِينتنا، فَهُو رَجُلٌ حَادّ الطِّبَاع، تَثُور أعْصَابُه لأبْسَط الْمَواقف، وسَيَمُوتُ رِجَالٌ كَثِيرون مِن أجْل هَذا التَّاج ..

قَالتْ الْمَلِكَة في رَجَاء:

- لا بُدَّ أنْ نَعْثُر عَلَيه إنْ شَاءَ الله ..

وأقْبَل أحَدُ الْحُرَّاس، وحَيَّا الْمَلِك في احْتِرَام، وقَال:

- وَصَلَتْ رِسَالَة لَكَ يا مَوْلاي ..

وقَدَّمَ الرِسَالَةَ للمَلِكْ، وما كَادَ يَقْرأ مَا بهَا حَتَّى تَجهَّم وَجْهُه،

وزَفَر في ضيْقٍ وانْفعَال ..

إنَّها رسَالة مِنَ الْمَلِك الْمُنْتَصِر .. يُخْبِرُهُ أنَّه سَيَعُودُ إلَيْه في الغَدْ لِيأخُذ التَّاج النَّادِر ..

واسْتَشْعر الْمَلِك خَطَرًا شَدِيدًا.

عَادَ الأميرُ ضِيَاء مِن رحْلَة الصَيْد، وأسْرَع إلى وَالدَيه وحَيَّاهما في حُبٍّ وَاحْتِرَام، ثُمَّ قال للمَلك:

- هَلْ سَأَل الْحُرَّاس عَن رَضْوَى؟

نَهَره الْمَلك قَائِلاً:

- لا تَذْكُر اسْمَها مَرَّة أخْرَى .. واسْتَعِد لتتزَّوج الأمِيرة قَطْر النَّدى ..

وقالتْ الْمَلكَة مُسْتَنْكِرَة:

- أكُنتَ تُريدُ أنْ تتزوَّج من لِصَّة؟

- لِصَّة؟!

واسْتَمع مِنْهُما لِمَا حَدَث، وقَالَ فِي دَهْشَة:

- لا .. لا أُصَدِّق حَرْفًا وَاحدًا .. لَقَدْ عَرَضْتُ عَلَيْها أنْ أشْتري لَهَا أيَّ ثَوْب تَخْتَاره .. وَلَكِنَّها رَفَضتْ .. لا .. لا بُدَّ أنَّ ثَمَّة خَطأ مَا ..

وأسْرَع إلى غُرْفَتِه، وجَلَس يُفكِّر في رَضْوَى، ويَبْحثُ عَنْ طَريقة لإنْقَاذِها مِن السِّجْن، وإثبات بَرَاءتِها.

وسَمِع دَقَّاتٍ على بَابِ غُرْفَتِه، فَقَال:

- ادْخُل ..

ودَخَلتْ ابْنَةُ عَمِّه، الأميْرةُ قَطْر النَّدَى، قَالَتْ وهِي تَبْتَسِم:

- حَمْدًا لله عَلَى سَلامَتِك ..

وكَانَت تَحْمِلُ كَأسَيْن من العَصِير، قَدَّمَت لَه إحْدَاهُما قَائِلَةً:

- لَقَدْ صَنَعْتُه بنَفْسِي ..

تَناوَلَ الأميْرُ ضِيَاء الكَأْس، ونَظَر إلَيْه في شُرود، فقَالَتْ الأميْرةُ قَطْر النَّدَى:

- أعْرفُ ما تُفكّرُ فيه .. وسَوْف أُسَاعِدُك لتَتزوَّج مِنَ رَضْوَى

..نَظَر إلَيْهَا مُتَلَهِّفًا، وهَتَف:

- أحقًّا؟

أوْمَأتْ قَطْرُ النَّدى برَأسِها قَائِلَةً:

- اشْرَبْ أوَّلاً .. وسَأشْرَحُ لَكَ خُطَّتِي ..

ورَفَعَ الأميرُ ضِياء الكَأسَ إلى فَمه، ورَاح يَرْشِفُ مِنْه، والأميرةُ تُرَاقِبه بنَظَراتٍ قَاسِيةٍ شِرِّيرَة، وما كَادَ الأمِيْرُ يَنْتَهي من شَرَابه، حَتَّى شَعُر بدُوَار شَدِيد ..

وهَوَى مَغْشيًّا عَلَيْه ..

وأطلَقَتِ الأميرةُ الشِرِّيرَة ضَحِكَةً ظَافِرة.

وقَفَتِ الأمِيرةُ الشِّرِّيرةُ بَيْن الْمَلك والْمَلِكَة، وهي تَتَظَاهَر بالبُكَاء خَارجَ غُرْفَة الأمِير ضِيَاء، وأَخيرًا غَادَر الأطِبَّاء الغُرْفة، فهَرْوَلَ الْمَلِك إلَيْهم، وسَأَلَهُم في قَلَق:

- هَلْ أفَاق الأميرُ ضياء؟

قَالَ كَبيرُ الأطِبَّاءِ في أسَفٍ:

- لا .. إنَّ حَالَته غَامِضة ..

سَالتْ دُمُوع الْمَلِكَة وَهي تَسْأل كَبير الأطِبَّاء:

- كَيْف؟

- مَرَضُه غَريب .. نَادر .. وعلاَجُه صَعْب للغَايَة.

سَألَه الْمَلِك وقَلْبُه يَتمزَّق حُزْنًا وألَمًا:

- مَا هُو هَذا العِلاج؟

أجَابَ كَبير الأطِبَّاء في أَسَف:

- العِلاَج الوَحِيد هو أنْ يَسْتنشِق عَبير زَهْرة الظَّلاَم النَّادرَة .. إنَّها زَهْرة تَنْبُتْ في الظَّلاَم .. وَهِي نَادِرة جدًّا .. ولا أعْلم أينَ نَجدُهَا.

قَالَ الْمَلك في حَمَاس:

- سَآمُرُ جَميعَ الْحُرَّاسِ والْجُنُود بالبَحْث عَنْها في كُلِّ مَكَان وأَصْدَر الْمَلكَ أوَامِره للحُرَّاس والْجُنُود .. ثُمَّ اسْتَدْعَى أَحَد الْخَدَم، وَقَالَ له آمِرًا:

- أَعْلِن للنَّاسِ جَمِيعًا .. مَنْ يُحْضِر زَهْرة الظَّلام ويُعَالِج بهَا الأمِيْرَ ضِيَاء .. سَأُحَقِّقُ له كُلَّ مَا يَتمنَّى .. وأدْفَعُ لَه كُلَّ مَا يُريد .. وَطَلباتُه وأوَامره كُلُّها مُجَابَة ..

والتَمعَتْ عَيْنَا الأمِيْرة قَطْر النَّدَى في ابْتِهَاج .. فخُطَّتَها تَسِيرُ بنَجَاح تَام ..

وتَقَدَّم كَبير الأطبَّاء مِنَ الْمَلِك قَائِلاً:

- الْمُهِمُّ أنْ نَعثُر عَلَى الزَّهْرَة فِي خِلاَل يَوْمٍ وَاحِدٍ عَلَى الأكْثَر

.. وإلاَّ ..

وَبانَ الأسَفُ في وَجْه كَبير الأطِبَّاء وَهُو يَقُول مُرْدِفًا:

- فَارَقَ الأمِيرُ ضِيَاء الْحَيَاة.

* * *

جَلَسَتْ رَضْوَى دَاخِل السِّجْن الصَّغِير الضَيِّق، كَانتْ تَشْعُر بالْحُزْن والأسَفْ، ولاَ تَدْري لِمَاذا كَذبَتْ البَائِعة؟.. ولِمَاذا اتَّهَمَتْها الأَمِيرَةُ ظُلْمًا؟

وَسَالَتْ دُمُوعُهَا، فَوَضَعَتْ يَدَها في جَيْبها لِتُخْرِجَ مَنْدِيلاً فَاصْطَدَمَتْ يَدُها بالبَلُّورَةِ، فَأَخْرَجَتْها وَنَظَرَتْ إِلَيْها، وَاتَّسَعَتْ عَيْنَاها وهِيَ تُبْصِرُ صُورَةَ وَجْهِ رَجُلٍ دَاخِلَها ..

إِنَّهُ الرَّجُلُ العَجُوز الَّذي قَدَّمَتْ لَهُ طَعَامَهَا ..

وَازْدَادَتْ دَهْشَتُها عِنْدَمَا سَمِعَتْهُ يَقُول:

- رَضْوَى .. لا تَخَافِي ..

قَالَتْ رَضْوَى في إيمان:

- إِنِّي وَاثِقةٌ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سَيُظْهِرَ بَرَاءَتِي ..

- لَنْ يُخْذِلُكِ اللَّهُ أَبَدًا .. وَلِكنْ .. لا بُدَّ أَنْ تَتْبَعِي إِرْشَادَاتِ البَلُّورة ..

سَأَلَتْهُ رَضْوَى مُنْدِهَشة:

- مَا هَذِهِ البَلُّورة؟ .. وَمَا هُوَ سِرُّها؟

لَمْ يَجْرِ الرَّجُلُ العَجُوزُ جَوابًا، بَلْ قَالَ وَصُورَتُهُ تَتَلاشَى:

- هَيَّا .. لا تُضَيِّعي الوَقْت ..

وَاخْتَفَتْ صُورَةُ الرَّجُلِ العَجُوز تَمَامًا، لِتَظْهَرَ دَاخِلَ البَلُّورَةِ صُورَةً أُخْرَى لِمَكَانٍ آخَرَ بَعيد .. لَمْ تَتَوَقَّعْ رُؤْيَتَهُ قَطّ.

وَتَمَلَّكَتْ رَضْوَى الدَّهْشَةُ الشَّدِيدة.

كَانَتْ رَضْوَى تُبْصِرُ دَاخِلَ البَلُّورةِ مَا يَدُورُ في القَصْرِ الْمَلَكِيِّ.. رَأَتْ الأَمِيرَ ضِياء مُمَدَّدًا عَلَى الفِرَاشِ.. وَعَرَفَتْ أَنّ عِلاجَهُ الوَحِيد هُوَ زَهْرَةَ الظَّلامِ النَّادِرَة.. وَعَرَفَتْ أَنَّ الْمَلِكَ يَبْحَثُ عَنْ تَاجِ المَلِكِ الْمُنْتَصِرِ.. وَأَنَّ الأَمِيرَة قَطْر النَّدَى تُخَطِّطَ لِشَيْءٍ مَا غَامِض .. وَخَطِير .. ثمَّ تَبَدَّلَتِ الصُّورَةُ دَاخِلَ البَلُّورةِ .. ظَهَرَتْ صُورَة الرَّجُلِ العَجُوز، وَرَاحَ يَتَكَلَّم، وَهِيَ تُصْغِي إِلَيْهِ في تَرْكِيزٍ تَامٍّ .. ثمَّ اتَّجَهَتْ رَضْوَى إلى بَابِ السِّجْنِ، وَرَاحَتْ تَدُقُّ عَلَيْهِ بِكَفِّهَا الرَّقِيقَةِ، حَتَّى جَاءَ الْحَارِسُ، وَسَأَلَها في غِلْظَةٍ:

- مَاذا تُرِيدِين؟

وَفَاجَأَتْهُ رَضْوَى بِإِجَابَتِها:

- قُلْ لِلْمَلِكِ أَنِّي أَعْرِفُ طَرِيقَ زَهْرَةِ الظَّلام النَّادِرَة.

* * *

جَلَسَ الْمَلِكُ علَى كُرْسِيِّ العَرْشِ، وَهُوَ يُفَكِّر في حُزْنٍ، لَقَدْ مَرَّتْ عَشْرُ سَاعَات كَامِلَة، وَلَمْ يَعْثُر أَحَدٌ عَلَى زَهْرَةِ الظَّلامِ بَعْد،

وَبَيْنَمَا هُوَ غَارِقٌ فِي أَفْكَارِهِ، أَقْبَلَتِ الأَمِيرَةُ قَطْرُ النَّدَى، وَقَالَتْ:

- مَوْلاي الْمَلِك .. أَعْتَقِدُ أَنِّي سَأَصِلُ إلى الزَّهْرَةِ فِي خِلالِ سَاعَاتٍ قَلِيلَةٍ ..

انْتَتَرَ الْمَلِكُ وَاقِفًا، وَهُوَ يَهْتِفُ فِي أَمَلٍ:

- أَحَقًّا؟

- أَجَلْ .. وَلَكِنْ .. أَمَازِلْتَ عَلَى وَعْدِكَ .. هَلْ سَتُلَبِّي كُلَّ طَلَبَاتِ وَأَوَامِرِ مَنْ يَعْثُرُ عَلَى الزَّهْرَةِ النَّادِرَةِ .. وَيُنْقِذ الأَمِير.

قَالَ الْمَلِكُ فِي تَوْكِيدٍ:

- بالتَّأْكِيد .. الْمُلُوك لا تَخْنَثُ وَعْدًا قَط.

- مَهْمَا كَانَتْ هَذِهِ الطَّلَبَاتِ صَعْبَةً .. وَقَاسِيَةً ..

- أَجَلْ .. سَأُحَقِّقُها لَكِ .. كُلَّها .. فَقَطْ .. أَحْضِرِي الزَّهْرَةَ .. بسُرْعَةٍ ..

وَغَادَرَتِ الأَمِيرَةُ قَطْرُ النَّدَى القَاعَةَ، وَعَيْناهَا تَبْرُقَانِ فِي شَرٍّ .. آهٍ لَوْ عَرفَ الْمَلِكُ الطَّلَبَ الَّذي سَتَطْلُبُهُ مِنْهُ .. لَمَا وَعَدَها بتَحْقِيقِهِ أَبَدًا ..

وَرَأَتْ حَارِسَ السِّجْنِ يُقْبِلُ مُهَرْوِلاً، وَالبِشْرُ يَعْلُو وَجْهَهُ، سَأَلَتْهُ:

- لِمَاذا تَرَكْتَ حِرَاسَةَ رَضْوَى؟

قَالَ الْحَارِسُ فِي سَعَادَةٍ:

- رَضْوَى تُخْبرُ الْمَلِكَ أَنَّها تَعْرِفُ طَرِيقَ زَهْرَةَ الظَّلام.

عَصَفَ الغَضَبُ بوَجْهِ الأَمِيرَةِ وَهِي تَقُولُ:

- وَهَلْ صَدَّقْتَها؟.. عُدْ إلى الْحِرَاسَةِ.. وَإِلاَّ أَمَرْتَ بإيدَاعِكَ السِّجْن ..

وابْتَعَدَ الْحَارِسُ فِي خَوْفٍ وذُعْرٍ، بَيْنَمَا عَادَتِ الأَمِيرَةُ الشِّرِيرَةُ إلى الْمَلِكِ بَعْدَ أَنْ دَبَّرَتْ شَيْئًا مَعَ خَادِمِها وَأَحَدَ حُرَّاسِ القَصْرِ، قَالَتْ:

- لَقَدْ عَلِمْتُ مَنْ الَّذي دَسَّ السُّمَّ لِلأَمِيرِ ضِياءِ يا مَوْلاي.

سَأَلَها الْمَلِكُ فِي دَهْشَةٍ:

- مَنْ؟

- فَتاةٌ تُدْعَى رَضْوَى.. لَقَدْ رَآهَا خَادِمي تَتَسَلَّل إلى القَصْرِ.. وَتَدْخُل غُرْفَة الأَمِيرِ ضِياء.. وَتَضَعُ لَهُ شَيْئًا في العَصِيرِ.

اعْتَرَضَ الْمَلِكُ قَائِلاً:

- وَلَكِنَّها سَجِينَةٌ؟

قَالَتِ الأَمِيرَةُ قَطْرُ النَّدَى فِي مَكْرٍ:

- لَقَدْ هَرَّبَها الْحَارِسُ مِنَ السِّجْنِ لِتَضَعَ السُّمَّ لِلأَمِيرِ ضِياء.. ثمَّ عَادَتْ.. وَلَكِنَّ أَحَدُ حُرَّاس القَصْرِ رَآها ..

وَاسْتَدْعَى الْمَلِكُ الْخَادِمَ وَالْحَارِسَ ..

وابْتَسَمَتِ الأَمِيرَةُ قَطْرُ النَّدَى في ثِقَةٍ، فَالرَّجُلَيْنِ فَهِما مَعَها،

وَسَيَشْهَدَان بما لَقَّنْتُهُ لَهُما ..

وَاسْتَمَعَ الْمَلِكُ لِشَهَادَةِ الرَّجُلَيْنِ، وَرَاحَتِ الأَمِيرَةُ تُوغِرُ صَدْرَهُ ضِدَّ رَضْوَى، وَتَحُثُّهُ علَى الانْتِقَامِ مِنْها، حَتَّى أَصْدَرَ الْمَلِكُ أَمْرَهُ الرَّهِيب:

-أَيُّها الْحُرَّاس.. اذهَبُوا إلى السِّجْنِ.. وَأَعْدِمُوا رَضْوَى.

شَاهَدَتْ رَضْوَى وهِيَ تَنْظُرُ دَاخِلَ البَلُّورَةِ الْمَلِكَ وَهُوَ يَأْمُرَ الْحُرَّاسَ بِإعْدَامِها، فَتَولاَّهَا الذُّعْرُ، وَهَتَفَتْ في اضْطِرَابٍ:

- مَاذا سَأَفْعَلُ الآن؟

وَعَلَى الفَوْرِ أَبْصَرَتِ الرَّجُلَ العَجُوزَ دَاخِلَ البَلُّورَةِ، يُشِيرُ بيَدِهِ إلى إِحْدَى الْجُدْرَانِ، قَائِلاً:

- رَضْوَى.. مُرِّي عَبْرَ هَذا الْجدَار ..

- وَلَكِنْ ..

- لا تَخَافِي.. وَنَفِّذِي مَا أَقُولُه لَكِ.

وَانْفَتَحَ بَابَ السِّجْنِ، وَبَرَزَتِ الأَمِيرَةُ قَطْرُ النَّدَى، وَحَوْلَها الْحُرَّاسُ، وَصَاحَتِ الأَمِيرَةُ الشِّرِّيرَةُ وَهِيَ تُشِيرُ لِرَضْوَى:

- أَحْضِرُوها ..

وانْدَفَعَتْ رَضْوَى نَحْوَ الْجدَارِ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ، وَشَعرَتْ أَنَّها سَتَصْطَدِم بهِ، وَلَكِنَّها لَمْ تَتَوَقَّف، وَرَأَتْهَا قَطْرُ النَّدَى، وَهِيَ تَكَادُ تَصْطَدِمُ بالْجدَارِ، فَهَتَفَتْ مُنْدَهِشَة:

- مَاذا تَفْعَلِين؟.. أَجُنِنْتِ؟

وَاتَّسَعَتْ عَيْنَاهَا فِي ذُهُولٍ، عِنْدَما مَرَّتْ رَضْوَى عَبْرَ الْجِدَارِ، وَاخْتَفَتْ عَنِ الأَنْظَارِ، وَانْدَفَعَتْ قَطْرُ النَّدَى خَلْفَهَا وَهِيَ تَعْدُو بقُوَّةٍ، وَلَكِنَّهَا اصْطَدَمَتْ بالْجِدَارِ الَّذِي مَرَّتْ رَضْوَى عَبْرَهُ، وَوَقَعَتْ أَرْضًا وَهِيَ تَتَأَلَّمَ وَتَصْرُخ ..

أَمَّا رَضْوَى فَقَدْ وَجَدَتْ نَفْسَهَا فِي مَمَرٍّ طَوِيلٍ ضَيِّقٍ شَدِيدِ الظَّلامِ، وَسَمِعَتْ صَوْتَ الرَّجُلِ العَجُوزِ يُنَادِيها:

- أَسْرِعِي.. أَسْرِعِي.. وَلا تَخَافِي ..

واسْتَمَرَّتْ تَعْدُو وَهِيَ تَلْهَثْ فِي انْفِعَالٍ، حَتَّى سَمِعَتْ الصَّوْتَ يَقُولُ:

- تَوَقَّفِي يَا رَضْوَى ..

وَقَفَتْ رَضْوَى، وَاسْتَنَدَتْ عَلَى الْجِدَارِ لِتَسْتَرِيح، وَرَاحَتْ أَنْفَاسُها تَعْلُو وَتَهْبط فِي انْفِعَالٍ شَدِيدٍ، وَفَجْأَةً وَجَدَتِ الرَّجُلَ العَجُوزَ أَمَامَها، وَهُوَ يُرْبتُ عَلَى كَتِفِها فِي حَنَانٍ بيَدِهِ اليُمْنَى، بَيْنَمَا يُقَدِّم لَها بيَدِهِ اليُسْرَى صَنْدُوق صَغِير:

- خُذِي هَذا الصُّنْدُوق ..

سَأَلَتْهُ رَضْوَى فِي دَهْشَةٍ:

- لِمَاذا؟

- سَأُخْبرُكَ.. إِنَّهُ خَاصٌّ بالأَمِيرَةِ الشِّرِّيرَةِ.. وَلَكِنِّي وَضَعْتُ لَها

صُنْدُوقًا يُشْبِهُهُ تَمَامًا.. بِنَفْسِ مُحْتَوِيَاتِهِ تَقْرِيبًا.. الْمُهِم أَنْ تَذهَبِي إلى القَصْرِ فِي الوَقْتِ الْمُنَاسِبِ.. لِتُنْقِذِي الأَمِيرَ.. وَتَمْنَعِي نُشُوب الْحَرْبِ بَيْنَ مَدِينَتَيْن ..

سَأَلَتْهُ رَضْوَى:

- مَنْ أَنْتَ يا سَيِّدِي؟

ابْتَسَمَ الرَّجُلَ قَائِلاً:

- رَجُلٌ عَجُوزٌ.. وَحِيدٌ.. فَقِيرٌ.. وَرِثْتُ هَذِه البَلُّورة المَسْحُورةِ عَنْ أَجْدَادِي.. وَلَمْ أَسْتَخْدِمُها قَط.. وَلَكِنِّي شَعَرْتُ أَنكِ فِي حَاجَةٍ إِلَيْها.. فَقَدَّمْتُها لَكِ بَعْدَ أَنْ شَعُرْتُ أَنَّ لَكِ قَلْبًا طَيِّبًا طَاهِرًا.. وَنَفْسًا صَافِيةً، وَرَأَيْتُ الْخَطَرَ يُحْدِقُ بكِ، فَقَرَّرْتُ أَن أُسَاعِدكِ.. وَالآن.. هَيَّا بسُرْعَةٍ.. لِتُصَلِّي إلى القَصْرِ قَبْلَ فَوَاتِ الأَوَان.

سَأَلَتْهُ رَضْوَى:

- وَلَكِنَّ الْحُرَّاسَ سَيَمْنَعُونَنِي مِنَ الدُّخُول ..

ابْتَسَمَ الرَّجُلُ فِي حُنُوٍّ قَائِلاً:

- لا تَقْلَقِي.. ثمَّة مَمَرٌّ سِرِّيٌّ.. سَتَصلين إلى القَصْرِ مِنْ خِلالِهِ.

وَأَشَارَ إِلَيْها لِتَبْدَأَ طَرِيقَها.. وَانْطَلَقَتْ رَضْوَى لِتَبْدَأَ مُهِمَّتَها.

كَانَ الأَمِيرُ ضِياء مُمَدَّدًا عَلَى فِرَاشِهِ، غَائِبًا عَنِ الوَعْيِ، وَقَدْ جَلَسَ الْمَلِكُ وَالْمَلِكَةُ بجوَارِهِ، وَهُمَا يَدْعُوانِ اللَّهَ أَنْ يُنْعِمَ عَلَيْهِ بالْشِّفَاءِ ..

وَدَخَلَتْ قَطْرُ النَّدَى، وَمَعَهَا صُنْدُوقٌ صَغِيرٌ.. مُشَابِهٌ تَمَامًا لِلْصُنْدُوقِ الَّذِي أَعْطَاهُ الرَّجُلُ العَجُوزُ لِرَضْوَى، قَالَتْ:

- مَوْلاي الْمَلِك.. لَقَدْ وَعَدتَنِي.. إِذا تَمَّ شِفَاءُ الأَمِيرُ ضِياء.. أَنْ تُحَقِّقَ مَطَالِبِي كُلَّها.. وَقَدْ أَحْضَرْتُ الزَّهْرَةَ النَّادِرَةَ.. وَلَنْ أَطْلُبَ مِنْكَ سِوَى طَلَبٍ وَاحِدٍ فَقَطْ.

هَتَفَ الْمَلِكُ فِي بشْرٍ:

- أَحَقًّا أَحْضَرْتَ زَهْرَةَ الظَّلام؟.. هَيَّا.. وَسَأُنَفِّذ هَذا الطَّلَبَ عَلَى الفَوْرِ.

- يَجبُ أَنْ تَعْرِفَهُ أَوَّلاً ..

- مَا هُوَ؟

وَفِي ثبَاتٍ قَالَتْ قَطْرُ النَّدَى:

- أَنْ تَتَنَازَلَ لِي عَنِ العَرْشِ.. وَعَنْ كُلِّ ثرْوَتِكِ ..

وَبُوغِتَ الْمَلِكُ بطَلَبِهَا العَجيب، لَمْ يَتَصَوَّر قَط أَنَّ ابْنَةَ أَخِيهِ

يُمْكِن أَنْ تُفَكِّر بهَذِهِ الطَّرِيقَةِ، وَلَكِنَّهُ قَالَ فِي اسْتِسْلامٍ:

- مُوَافِق ..

وَارْتَسَمَتِ الابْتِسَامَةُ الْمَاكِرَةُ علَى شَفَتَيِّ الأَمِيرَةِ قَطْرِ النَّدَى.. وَتَقَدَّمَتْ مِنَ الأَمِيرِ ضِياء، وَفَتَحَتِ الصُّنْدُوقَ، وَأَخْرَجَتْ زَهْرَةَ الظَّلامِ وَقَرَّبَتْها مِنْهُ وَهِيَ تُفَكِّر فِي نَشْوَةٍ:

- بَعْدَ لَحَظَاتٍ أُصْبح أَنا الْمَلِكَة الْجَدِيدة.

طُوَالَ عِدَّةِ دَقائِق، ظَلَّتْ يَدُ قَطْرِ النَّدَى مُمْسِكَةٍ بالزَّهْرَةِ، أَمَامَ أَنف الأَمِير ضِياء ..

وَلِكِنَّهُ لَمْ يَفِقْ مِنْ غَيْبُوبَتِهِ ..

وَبَدَأَتْ تَشْعُر بالقَلَقِ.. مَاذا حَدَث؟.. إِنَّ هَذِهِ الزَّهْرَة تُعَادِل تَأْثِير السُّمِّ.. ولا بُدَّ أَنْ تُنْقِذ الأَمِيرَ ..

وَتَقَدَّمَ الْمَلِكُ مِنْها، قَالَ فِي صَوْتٍ غَاضِبٍ:

- مَاذا حَدَثَ أَيَّتُها الأَمِيرَةُ؟.. لِمَاذا لَمْ يَفِقْ ابْنِي؟ ..

نَظَرَتْ إِلَيْهِ قَطْرُ النَّدَى فِي خَوْفٍ، وَهَتَفَتْ:

- عَمِّي.. أ.. نا ..

- تَذكَّرَتِ الآن فَقَطْ أَنَّنِي عَمُّكِ.. وَأَنَّنِي رَبَّيْتُكِ مُنْذ كُنْتِ طِفْلَةً

صَغِيرَةً.. وَلَمْ أَدَّخِرْ جُهْدًا فِي إِسْعَادِك.. تُرِيدِين أَنْ تُكَافِئِينِي بِانْتِزَاعِ الْمُلْكِ مِنِّي.. وَأَنْتِ لَسْتِ جَدِيرة بِهِ.. عِنْدَما يَتم شِفَاء الأَمِير.. سَأُحَاسِبُكِ حِسَابًا عَسِيرًا ..

وَوَقَفَتِ الأَمِيرةُ الشِّرِّيرَةُ تَرْتَجِفُ فِي خَوْفٍ ..

وَفَجْأَةً انْفَتَحَ بَابٌ سِرِّيٌّ فِي أَحَدِ جُدْرَانِ الغُرْفَةِ ..

وَظَهَرَتْ رَضْوَى.

* * *

انْدَفَعَتْ قَطْرُ النَّدَى نَحْوَ رَضْوَى وَهِيَ تَصِيحُ غَاضِبَةً:

- اقْبِضْ عَلَيْهَا يا مَوْلاي.. إِنَّها هِيَ الفَتَاة الَّتِي دَسَّتِ السُّمَّ لِلأَ...

قَاطَعَهَا الْمَلِكُ آمِرًا:

- اصْمُتِي ..

ثُمَّ نَظَرَ إِلَى رَضْوَى قَائِلاً:

- مَا الَّذِي جَاءَ بِكِ الآن؟.. أَلاَ يَكْفِي أَنَّكِ تَسَبَّبْتِ فِي مَرضِ ابْنِي؟

قَالَتْ رَضْوَى فِي صِدْقٍ:

- أَنا بَرِيئَةٌ.. الأَمِيرَةُ اتَّهَمَتْنِي ظُلْمًا.. وَشَهِدَ مَعَهَا خَادِمُهَا والْحَارِسُ زُورًا.. إِنَّها هِيَ الَّتِي دَسَّتِ السُّمَّ لِلأَمِيرِ ضِياء ..

صَرَخَتْ قَطْرُ النَّدَى:

- أَنْتِ كَاذِبة ..

وَاجَهَها الْمَلِكُ قَائِلاً:

- أَنْتِ الكَاذِبة يا قَطْرَ النَّدَى.. أَنْتِ تَسَبَّبْتِ فِي مَرَضِ الأَمِيرِ لِتَسْرِقِي عَرْشِي بَعْدَ أَنْ تَأَكَّدْت أَنَّهُ لا يُرِيدُ أَنْ يَتَزَوَّجكِ ..

انْهَارَتِ الأَمِيرَةُ قَطْرُ النَّدَى تَبْكِي فِي نَدَمٍ، أَمَّا رَضْوَى فَقَدْ أَخْرَجَتِ الصُّنْدُوقَ وَقَالَتْ:

- أَخْفَتْ قَطْرُ النَّدَى الصُّنْدُوقَ فِي مَكَانٍ سِرِّيٍّ، وَلَكِنِّي عَثُرْتُ عَلَيْهِ بِفَضْلِ رَجُلٍ صَالِحٍ سَاعَدَنِي، وَوَضَعَ لَهَا صُنْدُوقًا يُشْبِهُهُ وَزَهْرَةً زَائِفَة، حَتَّى لا تُحَقِّق لَها طَلَبَها يا مَوْلاي.. وَتُصْبح مَلِكَةً.

وَتَقَدَّمَتْ رَضْوَى مِنَ الأَمِيرِ ضِياء بِزَهْرَةِ الظَّلام.. وَقَرَّبتها مِنْ أَنْفِهِ.. وَمَا كَادَ يَسْتَنْشِقَ عَبِيرَها.. حَتَّى فَتَّحَ عَيْنَيْهِ.. وَهَتَفَ فِي صَوْتٍ ضَعِيفٍ:

أ.. أين.. أنا.. مـ.. من.. رَضْوَى؟.. الْحَمْدُ لِلَّهِ ..

وَهَلَّلَ الْمَلِكُ، وَانْسَابَتْ دُمُوعُ الْمَلِكَةِ فِي فَرْحَةٍ، وَانْدَفَعَ الاثْنَانِ لِيَحْتَضِنَا رَضْوَى فِي حُبٍّ وَامْتِنَانٍ.

* * *

وَقَفَ الأَمِيرُ ضِياء بَيْنَ وَالِدَيْهِ، فَسَأَلَ الْمَلِكُ رَضْوَى:

- كُلُّ طَلَبَاتك مُجَابَة.. حَتَّى لَوْ طَلَبْتِ أنْ أَتَنَازَلُ لَكِ عَنِ الْعَرْشِ.

قَالَتْ رَضْوَى فِي قَنَاعَةٍ:

- طَلَبِي أَنْ تَرُدَّ لِي الثَّوْبَ الَّذِي اشْتَرَيْتُهُ بِنُقُودِي.. وَالَّذِي انْتَزَعَهُ الْجُنودُ وَهُمْ يَقْبضُون عَلَيَّ.. وَأَنْ تَتَحَرَّى العَدْلَ.. حَتَّى لا يَدْخُلَ بَرِيء السِّجْنَ بَعْدَ الآن بتُهْمَةٍ ملصَّقة.

قَالَ الْمَلِكُ فِي رِضَاء:

- أَنْتِ فَتاةٌ نَبيلَةٌ يا رَضْوَى ..

وَقَالَتِ الْمَلِكَةُ وَهِيَ تَحْتَضِنُها:

- يُشَرِّفُنا أَنْ تَكُونَ زَوْجَة ابْنِي بكُلِّ هَذا النُّبْل.

وَتَقَدَّم مِنْها الأَمِير ضِياء قَائِلاً:

- سَأَذهبُ إلى وَالِدِكِ.. وَأَطْلبُ يَدَكِ.

احْمَرَّ وَجْهُ رَضْوَى، وَأَطْرَقَتْ فِي خَجَلٍ، وَهِيَ لا تَكَادُ تُصَدِّق، وَلَكِنَّ صَوْت الْحَارِسُ جَعَلَها تَنْتَبه:

- وَصَلَ الْمَلِكُ الْمُنْتَصِرُ.

قَالَ الْمَلِكُ فِي أَسَفٍ:

- كَيْفَ سَأُخْبره بسَرِقَةِ التَّاجِ.. إِنَّهُ لَنْ يُصَدِّق.. سَتَحْدُث الْحَرْب ..

قَالَتْ رَضْوَى وَهِيَ تَنْظر دَاخِلَ الْبَلُّورَة الْمَسْحُورَة:

- التَّاجُ مَوْجُودٌ يا مَوْلاي ..

سَأَلَها الْمَلِكُ مُتَلَهِّفًا:

- أَيْنَ؟

- فِي غُرْفَةِ الأَمِيرةِ قَطْرِ النَّدَى.. إِنها هِيَ الَّتِي سَرَقَتْهُ ..

وَعَثُرَ الْمَلِكُ عَلَى التَّاج الثَّمِين، وَأَمَرَ الْجُنودَ بالقَبْضِ عَلَى قَطْرِ النَّدَى.. وَأَعْوَانها ..

وَانْطَلَقَ الأَمِيرُ ضِياء فِي عَرَبَةٍ ذَهَبِيَّةٍ تَجُرُّها الْخُيُول إِلى مَنْزِل رَضْوَى البَسِيط، لِيَطْلُبَ يَدَها مِنْ وَالِدِها الْمَرِيضِ، وَجَلَسَتْ رَضْوَى بجوَارِهِ تَبْتَسِمُ فِي سَعَادَةٍ لا مَثِيلَ لَها ..

وَمِنْ بَعِيدٍ، كَانَتْ عَيْنا رَجُل تُتابعُهُما في حُبٍّ عَمِيقٍ..

عَيْنا رَجُلٍ عَجُوزٍ طَيِّبٍ ..

وَابْتَعَدَ الرَّجُلُ العَجُوزُ، وَالسَّعَادَة تَعْمُر وَجْهَهُ النَّحِيل.

* * *

أسئلة في القصة

١- لماذا خرج الأمير ضياء إلى أسواق المدينة؟

٢- لماذا أعجب الأمير ضياء برَضْوَى؟

٣- لماذا لم تستطع رَضْوَى شراء الثوب في نهاية الشهر؟

٤- ما الخطة التي دبرتها الأميرة قطر الندى لتنتقم من رَضْوَى؟.. وكيف فشلت؟

٥- لماذا ألقى الجنود القبض على رَضْوَى؟

٦- من هو الملك المنتصر؟ وما هي صفاته؟ وماذا حدث لتاجه الثمين؟

٧- ما سر مرض الأمير ضياء؟

٨- اشرح خطة الأميرة قطر الندى لتستولي على عرش البلاد؟

٩- كيف أحبطت رَضْوَى الخطة؟.. ومن ساعدها؟

١٠- ما هو علاج الأمير ضياء؟.. ومن قدمه له؟

١١- ماذا طلبت رَضْوَى من الملك بعد شفاء الأمير ضياء؟

١٢- في ثلاث صفحات لخص القصة بأسلوبك.